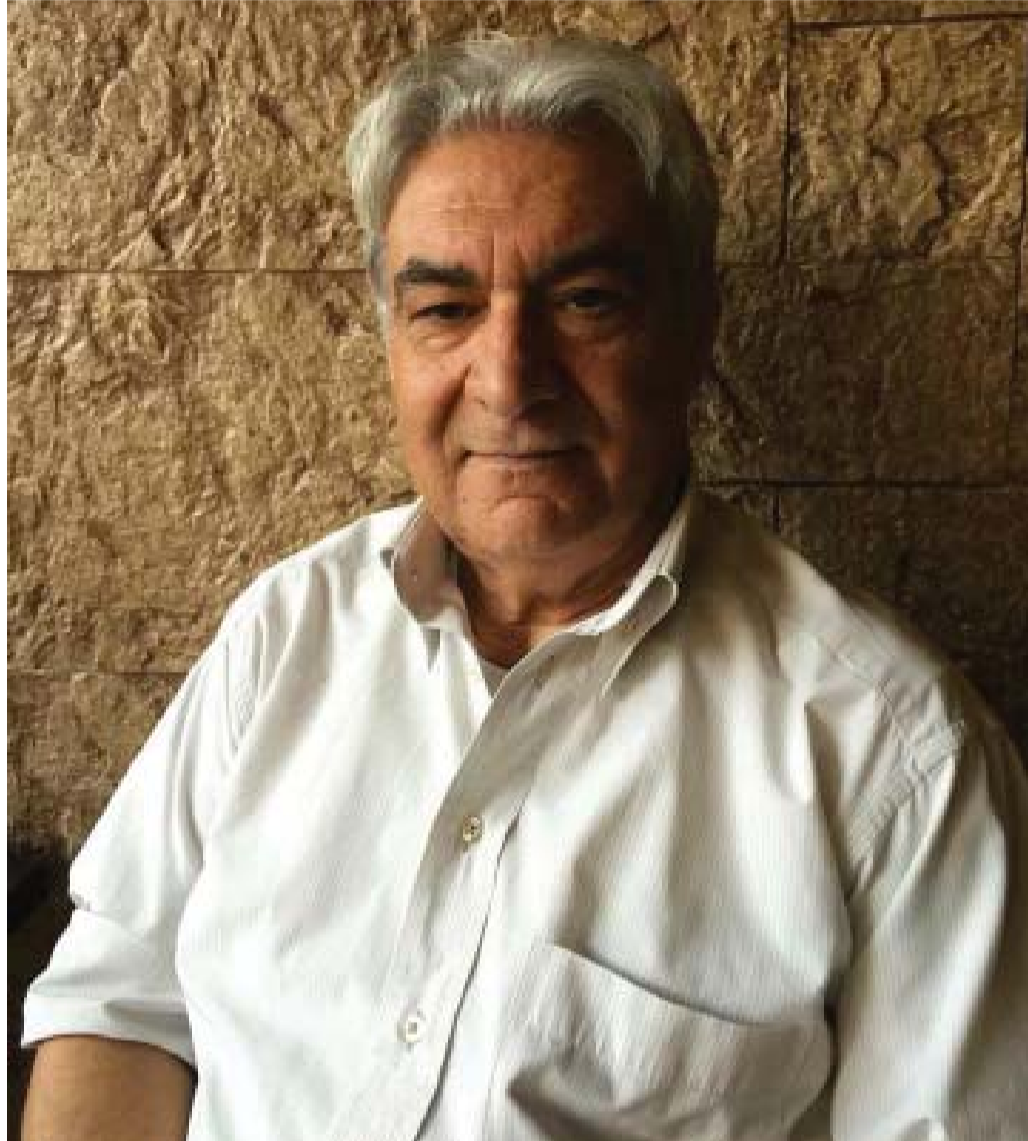


الحرب ثيمة قديمة للكتاب السوريين

نيروز مالك: حاولت أن أكون راويا جديدا لألف ليلة وليلة



سابقاً كانت القصة القصيرة متنفساً للكتاب

كافكا، تعرف أن كافكا عانى من والده الأمرين، وذلك واضح في كتابه 'رسالة إلى والدي'. لقد استعرت من شكل هذا الكتاب وكتبت الرواية التي تتحدث عن الصراع بين بطل الرواية والوالد، وهي الرواية، التي تملك رمزية يمكن للقارئ أن يستقطنها على كل دكتاتور وعلاقته مع شعبه والوطن الذي يحكمه. يمكن للقارئ أن يقرأها بعدة مستويات. بعدما أخذتني الرواية في طريقي حتى الآن.

ويؤكد مالك أن ترجمة أعماله أسعدته "خاصة أن الكتب الثلاثة التي ترجمت، وهما روايتان ومختارات قصصية"، لم تكن قد صدرت طبعها العربية بعد. باستثناء رواية "ظلال الليالي" التي صدرت طبعها العربية بعد ثلاث سنوات من صدور طبعها الفرنسية، وبرغم هذا كان يشعر بشيء من الحزن. تطلع إلى رواية "تحت سماء الحرب" التي ترجمت للفرنسية بعنوان "متنزه حلب" وشعر تشكيلا، فقد درس الفنون وأقام عدة معارض فريضة ومشتركة وشارك بمعارض عامة كثيرة. إلا أن حرب حزيران / يونيو وهزيمتنا كانت سببا في أن أتخلى عن عالم الرسم والبدء في كتابة هذه المسألة الوطنية.

ويضيف "خلال 7 سنوات كتبت العشرات من القصص ونشرت في المجلات والصحف والدوريات الثقافية العربية في سوريا ولبنان والعراق وليبيا وغيرها. كانت القصة القصيرة متنفسا سهولا نشرها فرادى ومن ثم جمعها في مجاميع قصصية. كنت أريد أن يصل صوتي إلى القارئ الذي يؤكد على ضرورة تخطينا الهزيمة. ففي معظم قصصي التي نشرتها في تلك الفترة كان موضوع الحرب قوامها، الحرب في المجتمع، الحرب مع إسرائيل، الحرب مع قوى التقليدية التي تشدد المجتمع إلى الوراء".

ويتابع مالك "بعد 8 مجموعات عدت إلى الكتابة الروائية وليس إلى الرواية القصيرة التي تآلف منها كتابي الأول قصة حب... التي اتخذت الحرب موضوعا لها.

وراهم وبلداتهم، كتابة عن الخراب والدمار ليس في البيوت فقط، إنما في روح الناس في دفعهم إلى الخنوع والركوع".

ويشير إلى أن هناك ملاحظة قدم بها الرواية وهي "بطل هذه الرواية هو الحرب، وطويلة كانت أم قصيرة، ولكل معركة مكان وزمان وناتج، فيمكن لنا أن نقول: هذه الرواية تتكون من مجموع معارك بطلها الحرب".

ولما كانت لهذه المعارك تفاصيل من القتل والتدمير والتهجير، فيمكن لنا أن نصيغها قصصا ونصوصا ومقاطع.

لهذا تعتبر أن مجموع هذه القصص والنصوص والمقاطع هي رواية من دون الشكل في جنسه الأدبي، وبطلها الحرب المستمرة منذ سنوات على الأرض السورية، لهذا فرض على العمل شكلا معيناً من القصص والكتابة والذهاب إلى أوسع الوقائع في حياة الناس الذين مازالوا يعيشون على الأرض السورية من أصدقاء وأقارب ومعارف.

ولفت مالك إلى أن "رباعية حلب" التي كتبها ما بين 1989 و1995 "كتبت بعد أن أخذت نتائج عقد الثمانينات تظهر واضحة على المجتمع السوري بعد انتهاء الصراع المسلح بين الإخوان المسلمين والسلطة، حيث ارتد الناس عن الحياة المنفتحة والسياسية والفكرية التي منطلقة محافظة. هذا الواقع الجديد هو الذي دفعني إلى إعادة صياغة هذا الانهيار المادي والروحي في المجتمع السوري في عمل يستوعب التحولات الاقتصادية والسياسية والفكرية التي حدثت خلال عقد الثمانينات من القرن الماضي. وما أن أنجزت الرواية الأولى 'جبل السيدة' حتى بدأت بكتابة رواية 'بوابة القصب'، وهكذا حتى أنجزت الرباعية".

ويتابع مالك "فني قبيار" هي سيرة ناقصة، فيها من الخيال أكثر مما فيها من واقع السيرة، إلا أن هناك وقائع كثيرة من مرحلة الطفولة واليفاع، أما رواية "ظلال الليالي" التي ترجمت إلى الفرنسية بعنوان "الليالي القديمة" قبل أن تصدر طبعها العربية بثلاث سنوات، هي دار بلومانيا في شهر أيلول 2020، هي بالفعل تستند إلى ألف ليلة وليلة.

ويشير إلى أن الطبيب الذي أشرف على وضعه الصحي كان له أثر كبير في اختيار شكل ألف ليلة وليلة لـ"ظلال الليالي". وقد سجل هذا الاعتراف في الرواية، على الرغم من أنه لم يكن يفكر بها قبل لقائه مع الطبيب الذي أشار عليه حياة إنسان، وكانت روايتي زهور

وتابع مالك "قد تجد نفسك في حرب عنيفة فيها قتل وإعاقة فرضت عليك من قوة غاشمة أتت من الخارج، خارج حدود بلدك، عبرتها بدبابات وطائرات وجنود، لهذا تشعر ببطل قاتلك ضدها من أجل أن لا تسقط بلدك في أيدي أعدائها الطامحين في الخيرات التي تنتجها. هذه كلها حروب، ولكل واحدة منها شكل ومضمون، وأيضا سلاح تستعمله للدفاع عن نفسك وروحك".

أما عن روايته "وقائع الحرب اليومية" التي صدرت عن دار "ورد" الأردنية في أغسطس 2020، فبلغت مالك إلى أن "الحرب فيها تختلف عن الحروب الأخرى خاضها. هي حرب عنيفة ولها العديد من وجوه القتل والإبادة والخراب، ودفع الناس إلى النزوح والهجرة واللجوء، هي حرب ضد من طالب بالحرية والكرامة لنفسه وبلده، هذه الرواية، كما يرى، هي كتابة عن معاناة الناس الذين بقوا في مدنهم

أثرت الحرب كثيرا على الكتاب السوريين المعاصرين، وربما بان بشكل جلي تأثيرها في السنوات الأخيرة، حيث قدمت الكثير من الأعمال الشعرية والقصصية والروائية التي اتخذت الحرب ثيمة لها، لكن هذا التوجه ليس جديدا بالنسبة إلى الكتاب السوريين، الذين عانوا لعقود من الحروب كما يؤكد الروائي والناقد السوري نيروز مالك الذي كان لـ"العرب" هذا الحوار معه.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

تأتي أعمال القاص والروائي السوري نيروز مالك كاشفة لتجليات الروح السورية في مواجهة الحياة بتقلباتها وتناقضاتها وحروبها ونزاعاتها، وانعكاسات ذلك على الشخصية السورية، ومتصدرة على تقنيات الكتابة التقليدية حيث تحتفي بتجديد وتطوير رؤيتها من مرحلة إلى أخرى، الأمر الذي أهلها منذ انطلاقتها أواخر السبعينات من القرن الماضي أن تقدم مشروعا متميزا يضاف إلى مسيرة القصة والرواية في سوريا خاصة وفي العالم العربي عامة.

توزعت أعمال مالك بين القصة القصيرة (9 مجموعات) والرواية (9 روايات) وقد ترجم عدد منها إلى أكثر من لغة، وحقق حضورا كبيرا بين جمهور النقاد والقراء. وأخيرا أصدر مالك روايته "وقائع الحرب اليومية" التي تتطرق من أفق آخر للتجديد.

تأثير الحرب

انطلاقا من تساؤل عن انشغال أعماله بالحرب وانعكاساتها على الواقع الاجتماعي السوري، يقول نيروز مالك "الحرب هي علاقة عنيفة مع الآخر، علاقة موت وإعطاء لإخراج من ساحة المعركة. أما الحروب الأخرى، مثلا الاجتماعية، أو السلطة والناس، أو العمل، فتختلف. كما ترى الحرب هي قوام حياتنا، واليومي فيها".

ويضيف "في العمل تجد نفسك في صراع دائم مع الذين تعمل معهم من أجل التقدم إلى الأمام، أحيانا تكون على حساب الآخرين. الحرب مع السلطة تجد نفسك في صراع مع قوة غامضة لها أذرع كاذبة والأخطبوط لا تعرف كيف يمكنك التخلص والتملص منها في سبيل خلاصك الروحي، فتجد نفسك في معارك يومية صغيرة قد تكبر وتأخذ حجم حياتك كلها. لأنك تجد في السلطة التي تهيمن عليك قوة غاشمة، وغير عادلة، وانت كإنسان لا تريد أن تكون مظلوما منها، وقد تكون نبيلاً فترفض أيضا ظلم الآخرين على يديها".

الحرب لعبت دورا كبيرا في الكتابة الأدبية لدى معظم الكتاب السوريين سواء للمؤيد منهم أو المعارض أو الرمادي

وتابع مالك "قد تجد نفسك في حرب عنيفة فيها قتل وإعاقة فرضت عليك من قوة غاشمة أتت من الخارج، خارج حدود بلدك، عبرتها بدبابات وطائرات وجنود، لهذا تشعر ببطل قاتلك ضدها من أجل أن لا تسقط بلدك في أيدي أعدائها الطامحين في الخيرات التي تنتجها. هذه كلها حروب، ولكل واحدة منها شكل ومضمون، وأيضا سلاح تستعمله للدفاع عن نفسك وروحك".

أما عن روايته "وقائع الحرب اليومية" التي صدرت عن دار "ورد" الأردنية في أغسطس 2020، فبلغت مالك إلى أن "الحرب فيها تختلف عن الحروب الأخرى خاضها. هي حرب عنيفة ولها العديد من وجوه القتل والإبادة والخراب، ودفع الناس إلى النزوح والهجرة واللجوء، هي حرب ضد من طالب بالحرية والكرامة لنفسه وبلده، هذه الرواية، كما يرى، هي كتابة عن معاناة الناس الذين بقوا في مدنهم

«العلاج بالأدب» تجربة مغربية لمواجهة الخوف والقلق

الرباط - شكلت جائحة فيروس كورونا المستجد أزمة صحية غير مسبوقه عبر العالم تسببت في مئات الآلاف من الوفيات، وأثرت سلبا على اقتصادات الدول، لكن كان لها أيضا وقع نفسي كبير على الناس باعتبار حالة القلق والذعر التي خلفتها في نفوسهم.

وهذا ما دفع ماجدولين النهبي، الأستاذة في كلية علوم التربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، والمسؤولة بمركز "أرطالوجيا" للعلاج بالفن، عبر ما يسمى "العلاج بالأدب"، حيث أن للأدب دورا كبيرا في التخفيف من الضغوط النفسية التي فرضتها الجائحة.

وتأتي هذه المبادرة بعد أن برزت إبان جائحة فيروس كورونا، والحجر الصحي الذي فرضته السلطات، عدة مبادرات تسوق للفن باعتباره وسيلة دعم نفسي لمواجهة الضغوط التي تسببت فيها.

وهذا ما دفع ماجدولين النهبي إلى تبني فكرة "العلاج بالأدب" باعتباره تقنية قائمة الذات للتخفيف من هذه الضغوط.

ماجدولين النهبي

القراءة تشكل أداة لتعزيز الأفكار الإيجابية، وتوفر فرصة للقارئ للانسلاخ من خوفه وقلق نحو آفاق أخرى

وترى النهبي أنه قبل الحديث عن العلاج بالأدب بشكل خاص، تجدر الإشارة إلى أن "العلاج بالفن" أو "ART-THERAPIE" يشكل تقنية يلجأ إليها الإخصائيون النفسيون حيث يوجهون مرضاهم إلى مراكز متخصصة في هذا النوع من العلاج توظف الموسيقى والفن التشكيلي بالأساس للتخفيف من حدة القلق الذي يعانون منه والضغوط التي يواجهونها. واليوم، يتيح هذا النوع من المراكز ملاذا ليس فقط لمن يعانون من أمراض نفسية، وإنما لكل شخص لمواجهة ضغوط الحياة المتسارعة.

وتلفت إلى أنه في واقع الأمر "العلاج بالأدب" يشكل جزءا من العلاج بالفن بصفة عامة، باعتبار الأدب نوعا من أنواع الفنون إن لم يكن أرقاها. ويمكن القول هنا إن الحديث عن هذا العلاج اليوم "مطلوب ومشروع"، لاسيما في ظرفية جائحة كورونا وما خلفته من خوف وتوتر وقلق نفسي، من جهة، وما تسببت فيه من بعض المشاكل الاجتماعية والعائلية التي تنتج عنها اضطرابات نفسية، من جهة أخرى. وحول كيفية التسلي بقرأة الأدب بمختلف أجناسه في غمرة الجائحة بشكل يعزز التفاؤل

وترى أن السبيل إلى ذلك يكون عبر تخصيص حيز مهم وواضح في الزمن الدراسي خاص بالقراءة، والتخفيف من انتظاظ المقررات المدرسية، وتزويد المدارس العمومية بمكتبات وتخصيص وقت لولوجها وتوفير أجواء تعين على القراءة فيها، إلى جانب توفير مكتبات في البيوت.



القراءة علاج نفسي